الاستدلال على وجود الله تعالى
عند الشيخ محمد الغزالي

د. إسماعيل محمد عواد الكبيسي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر
Dr.ismail.69@gmail.com

Inferring the evidence on God according to Mohammed Al-Ghazali

Dr. Ismail Mohamed Al-Kubaisi

College of sharia and Islamic studies at qatar university

الاستدلال على وجود الله تعالى عند الشيخ محمد الغزالي

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأسلوب الفلسفي والعلمي الذي اعتمد عليه الشيخ محمد الغزالي في الاستدلال على وجود الله من خلال تقصّي كتبه المختلفة في هذا المجال. وتعتمد هذه الورقة على منهج دراسة الحالة، والتي من خلالها نحاول جمع كل النصوص والمعلومات التي تساعدنا على فهم منهج الشيخ محمد الغزالي في باب الإلهيات: (وجود الله)، كما تعتمد هذه الدراسة بشكل أساسي على المنهج الوصفي والذي يتوخّى معرفة أسلوب الشيخ محمد الغزالي ومنهجه في هذا الباب. بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الدراسة انطلقت من سؤال مركزي وهو: بماذا تميّز منهج محمد الغزالي في الاستدلال على وجود الله؟ وما هي أهم مقومات هذا المنهج وركائزه؟ وبعد مراجعة الأدبيات السابقة الأولية والثانوية، خلصت الدراسة إلى أن تركيز الغزالي انصبّ على ناحيتين الأولى: الاستدلال على وجود الله تأصيلا، حيث شجّع على النظر في آثار الله ومخلوقاته في الكون بدلا من البحث في كنه ذاته وحقيقتها، كما استفاد من أدلة علماء المسلمين القدامى في طرح الأدلة، من غير أن يجد غضاضة في الاستفادة من الكشوفات العلمية المعاصرة ومن أقوال العلماء الغربيين أنفسهم، ما دام في ذلك دعم للإيمان، ودحض لمزاعم الإلحاد. والثانية: ردّه على المنكرين لوجود الله وتفنيده للشبهات الواردة في هذا الباب، تحصينا وحماية للأجيال، والذي تميّز فيه الغزالي في هذه الدراسة، أنه قدّم كل ذلك بإطار جديد وأسلوب معاصر يلزم فيه القارئ بإقناع ما توصّل إليه.

المفاهيم المفتاحية: وجود الله، الأدلة العقلية، الإلحاد، الصدفة- الغزالي

Inferring the evidence on God according to Mohammed Al-Ghazali

Dr. Ismail Al-Kubaisi

This research aims to highlight the scientific and philosophical method that Mohammed Al-Ghazali relied on when constructing arguments that prove the existence of God. In addition, this research is based on the case study method through which it attempts to gather all relevant content and data enabling us to comprehend Mohammed Al-Ghazali's method in the field of theology.

Furthermore, this paper employs a descriptive methodology aimed at recognizing

Mohammed Al-Ghazali's method in this field. Moreover, this research departed from a central question: What distinguishes Mohammed Al-Ghazali's method from others in inferring the evidence of God's existence and what are the main underpinnings of this method? After reviewing primary and secondary literature, this research concludes that Al-Ghazali's attention was devoted to two aspects: First, inferring the evidence, as he encouraged contemplation of the creations of God rather than reflection on the essence of God. In addition, he benefitted from early Muslim scholars in crystallizing arguments, without hesitating to benefit from contemporary scientific discoveries and from western perspectives as long as it serves to support faith and counter claims of atheism. Second, his endeavors to refute those denying the existence of God and his rebuttal of their doubts related to this field aimed at preventing future generations from falling into atheism. What made Al-Ghazali distinctive, according to this study, is his exquisite craftsmanship of presenting all of the aforementioned issues in a modern and persuasive manner.

Key words: God existence, Evidence- based arguments, Atheism, Coincidence -Al-Ghazali

المقدمة

الشيخ محمد الغزالي، المفكر والداعية الإسلامي المعروف، لقب بأديب الدعوة، ألّف العديد من الكتب في شتى مجالات الحياة الإسلامية تأسيسا، وتقويما، وإرشادا، وتصحيحا، وألقى الخطب والدروس وكتب المقالات وقدّم المحاضرات، وصال وجال في الندوات والمؤتمرات، وكان له همٌّ واحد يحمله هو همُّ الإسلام، يبتغي من وراء ذلك كله؛ نفخ روح الحياة في الأمة الإسلامية، والدفع بالمسلمين قدر ما يستطيع إلى الأمام –عقيدة وشريعة وسلوكا وحضارة–، وخلال الخمسين عاما ترك لنا الغزالي ما يقرب من الستين كتابا هي في الحقيقة ثروة تمثل جهاده الفكري في العلم والدعوة والنهضة. وفي العقيدة كانت له كتب وإسهامات متميزة؛ ويعد كتابه "عقيدة المسلم" والذي خصّصه للحديث عن أركان الإيمان وأصول العقيدة واحدا من الكتب المهمة في هذا المجال، حيث أقام فيه الحجج ونصب فيه الدلائل وردّ على الشبهات المتعلقة بالعقيدة الإسلامية. وقد رأيت أن أبرز جهود الشيخ محمد الغزالي في قضية من قضايا العقيدة، والمتمثلة بقضية وجود الله وطرق الاستدلال عليها لديه، وأيضا ردوده على المنكرين لوجود الله، فكان هذا البحث، سائلا الله التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

كأي علم يندرج تحته الموضوعات الخاصّة به، والقضايا التي تتعلق به، استقر علم العقيدة على مباحث محورية ومتنوعة أسّست لهذا العلم، ودللّت عليه، وفصّلت القول فيه. وتعد قضية وجود الله من أهم المباحث الرئيسة المتعلقة بهذا العلم، ولذا أخذت مكان الصدارة فيه، وكانت أولى القضايا التي اندرجت تحته، وقد تحدث عنها علماء المسلمين تأصيلا وتأسيسا لها وبيانا لحججها وتفنيدا للشبهات المتعلقة بها. ولا ريب فإن قضية وجود إله خالق لهذا الكون وهذا الإنسان، تعد من أهم قضايا العقيدة الإسلامية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق. ويبدو أن النقاش الفكري حولها ما زال محتدما بين من يثبتها ويدافع عنها من المؤمنين، وبين من يجحد بها وينكرها من الملحدين. لذا تعد هذه القضية من القضايا الحيوية في الحياة الفكرية المعاصرة وهي من القديم المتجدد لما ثار ويثور حولها من الشبهات. وقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على قضية وجود الله من خلال شخصية إسلامية بارزة متخصصة في علم العقيدة وأصول الدين، وهي شخصية المفكر الإسلامي المعروف الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله–.

مشكلة البحث:

يعالج البحث قضية وجود الله، تأصيلا، وإقامة للأدلة وإيرادا للحجج والبراهين المتنوعة التي ساقها الشيخ محمد الغزالي، وفي الوقت نفسه يرد على الفكر المادي الإلحادي الذي يزعم أن الكون بلا إله، وأن الإنسان بلا خالق، والذي صار يمثل تهديدا حقيقيا اليوم، سواء للمسلمين أو لغيرهم من المؤمنين من أتباع الديانات الأخرى.

الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

1- ما هي الاستدلالات المناسبة لعرض مسألة وجود الله في العصر الحاضر؟

2- وأيضا: كيف نرد على شبهات الإلحاد والملحدين في وقتنا الراهن؟

منهجية البحث:

أما من حيث المنهجية، فقد لجأت إلى منهج الاستقراء أولا، وفيه تتبعت استدلالات الشيخ محمد الغزالي على قضية وجود الله، وردوده على أهل الإلحاد من غالبية كتبه ومؤلفاته رحمه الله وجاء كتابه: "عقيدة المسلم" على رأسها، كما اعتمدت المنهج الوصفي والتحليلي، والذي يتوخّى معرفة أسلوب محمد الغزالي ومنهجه في هذا الباب، ثم المنهج التحليلي من خلال النظر في طرح الأدلة المعاصرة ورصد ظاهرة الإلحاد في الوقت الحاضر، وبيان الطروحات والأفكار والانتقادات الموجهة لهذه الظاهرة من خلال الشيخ محمد الغزالي، وصولا إلى النتائج.

الدراسات السابقة:

توجد كثير من الدراسات المتعلقة بوجود الله، وتمتاز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات؛ كونها تبحث هذه القضية من خلال شخصية المفكر والداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي. وثمة باحثون كتبوا عن العقيدة عموما عند الشيخ محمد الغزالي، أمثال البحث الذي كتبته الدكتورة حجيبة شيدخ بعنوان: العقيدة الإسلامية من خلال كتب الشيخ محمد الغزالي وهو بحث جيد، لكنه يتحدث بشكل عام كما ذكرت. ومن الدراسات أيضا: دراسة تقدمت بها كل من سهيلة لمقدم ونجعي وحيدة -2020-وهي رسالة ماجستير بعنوان "ملامح الرؤية الكونية عند الشيخ محمد الغزالي" ومع أن الرسالة ذكرت الأدلة على وجود الله كما طرحها الشيخ الغزالي، لكنها كانت ضمن عنوان: "ملامح الرؤية الكونية" وليست بحثا منفردا في الموضوع.

وبحسب خطة العمل انقسم البحث كالآتي:

المبحث الأول: أدلة وجود الله عند الشيخ محمد الغزالي ويندرج تحته المطالب الآتية:

المطلب الأول: دليل الفطرة

المطلب الثاني: دليل الإبداع

المطلب الثالث: دليل العناية

المطلب الرابع: دليل الحركة

المطلب الخامس: دليل الحدوث

المبحث الثاني: تفنيده للشبهات المتعلقة بوجود الله

المطلب الأول: تفنيد القول بالصدفة

المطلب الثاني: الرد على الإلحاد ونموذج على حوار دار بينه وبين ملحد

الخاتمة والتوصيات:

المبحث الأول: أدلة وجود الله عند الشيخ محمد الغزالي

استعرض الغزالي أشهر الأدلة التي استُدلّ بها على وجود الله، وقدّمها وأصّل لها وهي كما يأتي:

المطلب الأول: دليل الفطرة

يقصد بدليل الفطرة: أن الإنسان بحكم طبعه السوي الذي يولد عليه، وهيئته الأصلية التي أوجده الله تعالى بها، يستطيع أن يتوصل إلى الله مباشرة من غير أن يتوقف ذلك على نظر أو دليل، فإن الله فطر النفوس على معرفته سبحانه، وجعلها مجبولة على الإقرار به.

وقد تطرق الشيخ الغزالي لهذا الدليل، وجعله على رأس الأدلة قائلا: "وجود الله تعالى من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته وليس من مسائل العلوم المعقدة ولا من حقائق التفكير العويصة"[1]: (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إبراهيم: 10وهنا يثبت الشيخ حقيقتين:

الأولى: أن وجود الله أمرٌ مركوزٌ في الفطرة البشرية، وأن كل إنسان باستطاعته –بحكم هذه الفطرة التي أودعها الله فيه– أن يتعرف على خالقه سبحانه.

الثانية: أن وجود الله أمر سهل وليس أمرا صعبا يتوقف على الدليل؛ بل الدليل موجود داخل كل إنسان بحكم فطرته السليمة.

ولكن الغزالي يقرُّ أيضا أن الفِطَر السليمة قد يعرض لها ما يخرجها عن أصلها بفعل عوامل التنشئة أو البيئة فيقول: " والبيئة الفاسدة خطرٌ شديد على الفطرة فهي تمسخها وتشرّد بها وتخلّف فيها من العلل ما يجعلها تعافُ العذب وتسيغ الفج وذلك سر انصراف فريق من الناس عن الإيمان وقبولهم للكفر مع منافاة ذلك لمنطق العقل وضرورات الفكر وأصل الخلقة"[2].

وفي هذا السياق يرى الشيخ أن الحضارة العالمية الحديثة تماري في وجود الله، وأنها برفضها للحق وللمثل العليا قد انحرفت بمسار الفطرة البشرية عن طريقها السوي، وأنه لا نجاة لها إلا بتصحيحها لمسارها وقبولها الحق والعودة إلى الفطرة السليمة تهتدي إليها "كما يهتدي سبيله الجنين في ولادته والفرخ من بيضته". ثم يخلص من ذلك كله إلى القول: "ومتى هُدي العالم إلى الفطرة هُدي إلى الإسلام، فإن الإسلام هو دين الفطرة"[3]. وقد أكد الغزالي هذا المعنى في كتابه الآخر "التفسير الموضوعي" عند تفسيره لقوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ

---

[1] الغزالي، محمد. **عقيدة المسلم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2005، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص13.

فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم: 30 قائلا: "إن الإسلام هو الفطرة السليمة والطبيعة الإنسانية المستقيمة. إنه حركة العقل المتحرر من التقاليد، الباحث عن الحق، المتجرد عن الأهواء"[1].

ومما تقدم نلاحظ أن الشيخ الغزالي، يتحدث عن وجود الله على أنها من القضايا العقائدية السهلة التي بوسع كل امرئ أن يهتدي إليها بحكم فطرته الأولى، وأنها ليست بتلك الصعوبة بحيث تتوقف عليها أدلة النظار والفلاسفة، والتي تكون حجة على من خرج على الفطرة السويّة، فحينئذ يحتاج إلى الأدلة العقلية.

إن الله تعالى لم يجعل سبيل وصول الخلق إليه شائكا معقدا؛ بل جعله سهلا متاحا لكل من طلب الحق وأخلص الطريق إليه، فلم يعاند أو يتكبر أو يقلّد الأبوين بشكل أعمى أو يحاكي البيئة التي هو فيها، فكل ذلك مما يطمس الفطرة البشرية ويبعدها عن الطريق السوي؛ وبالتالي فإن من طلب الله مخلصا متحررا من كل تلك القيود، كان بإمكانه التوصل إلى ربه وخالقه سبحانه. وبهذا يمكن أن يعد دليل الفطرة صالحا لكل الناس. يقول جستون باريت –باحث أمريكي معاصر– متخصص في علم النفس التجريبي: "إن البنية الطبيعية للعقل البشري ضمن الظروف العادية تجعل الإيمان بالله أمرا متوقعا بالكامل" وذكر بعض التجارب الهامة والمفيدة من واقع الحياة في المجتمع الأوربي والتي تبيّن أن الأطفال يولدون ولديهم الميل الفطري نحو الإيمان بالله على الرغم من عدم تلقينهم ذلك من الأبوين".[2]

المطلب الثاني: دليل الإبداع[3]

بعد دليل الفطرة يأتي الحديث عن الأدلة الأخرى التي تخاطب العقول بالحجج والبراهين. ومن هذه الأدلة العقلية التي تحدث عنها الغزالي؛ دليل الإبداع وكما يأتي:

الإبداع هو: إيجاد الشيء على غير مثال سابق. جاء في المصباح المنير: "أَبْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ إبْدَاعًا خَلَقَهُمْ لَا عَلَى مِثَالٍ".[4]

---

[1] الغزالي، محمد. **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1420هـ/ 2000م، ص312.

[2]. باريت، جستون. **فطرية الإيمان كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله**، ترجمة مركز دلائل، دار وقف دلائل للنشر، الرياض، ط1، 1438هـ، ص15-18.

[3] يمكن أن نطلق عليه أيضا دليل الخلق، أو الاختراع كما أطلق عليه ابن رشد وكلها تسميات لمسمى واحد. ابن رشد، محمد بن أحمد. **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1964، ص151.

[4] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مكتبة لبنان، لبنان، 1987، ص15.

وأما المراد بدليل الإبداع في العقيدة فهو: مخاطبة أصحاب العقول بمظاهر الخلق والإبداع المنتشرة في كل مكان سواء في الكون، أو في خلق الإنسان للتوصل بها إلى الخالق سبحانه.

وفيما يخصّ صياغة الإبداع دليلا على وجود الله تعالى ذكر الغزالي ما يأتي:

"إن الإنسان لم يخلق نفسه، ولم يخلق أولاده، ولم يخلق الأرض التي يدرج فوقها، ولا السماء التي يعيش تحتها. والبشر الذين ادعوا الألوهية لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك. فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والإبراز من العدم لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد. ومن المقطوع به كذلك أن شيئا لا يحدث من تلقاء نفسه، فلم يبق إلا الله"[1]. ويؤكد الغزالي أن هذا الدليل قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ) الطور: 35، 36 ودليل الإبداع في الحقيقة يستند إلى قانون العلّيّة أو كما يسميه كانت "قوانين العقل المنظمة" والتي من جملتها قانون الأسباب والذي يتطلب بالبداهة، أن لكل معلول علة وأن لكل سبب مسببا، وأنه يستحيل عقلا أن يوجد سببٌ دون مسبب أو أن ينتقل مخلوق من العدم إلى الوجود من غير خالق لأنه خلاف القانون وهذا أمر مقرر.[2] من أجل هذا كان القرآن الكريم يشدُّ الأنظار ويلفت الانتباه إلى مظاهر الإبداع في الكون وفي الإنسان؛ وهو ما أكده الغزالي بقوله: "إن القرآن الكريم جعل مجال الطبيعة مدارس الإيمان، وكلما استكثر المرء من حصيلة المعرفة الكونية ربا يقينه وزادت بالله معرفته". وهو –أي: القرآن الكريم–" يلفت أنظار العرب إلى مظاهر الإبداع في المجتمع الساذج الذي يحيون به". قال تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) الغاشية: 17–20 ويواصل القول: "وإنك لتعرف الشخص الذكي بآثاره العملية ولا تفكر في معرفة ذكائه بالكشف على تلافيف مخه، فإذا كان التعرّف على قدر إنسان تبصره لا يتم إلا بهذا الأسلوب فكيف بالتعرف على من (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)".[3] الأنعام: 103 وهنا يضعنا الغزالي أمام قاعدة قرآنية أراها مهمة في الطرح العقائدي، وهي قضية النظر في آثار الله وعدم الخوض أو الكلام في ذات الله، "لأنه لا يمكن الوصول إلى معرفة كنهه وحقيقته... فالنظر

---

[1] الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص13.

[2] الجسر، نديم. **ركائز التفكير الإسلامي: موقف العقل من الإيمان وموقف القرآن من العلم والمعرفة**، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، السنة الثالثة، العدد 32، ص61.

[3] الغزالي، محمد. **ظلام من الغرب**، تحقيق محمد خالد القعيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2005، ص34.

والتفكر والتكييف يكون في المخلوقات لا في الخالق".[1] ويدل عليه قوله تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). آل عمران: 191 وفي الحديث: (تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله).[2]

وقد توسّع الشيخ الغزالي في بسط هذا الدليل لأهميته في سائر كتبه؛ ففي كتابه: "كيف نفهم الإسلام" ذكر أن أسلوب القرآن في التعريف بالله قائم على إيقاظ البصائر والأبصار إلى ما في الكون الكبير من شواهد وآثار، حيث يقوم على:" انتزاع الأدلة الحية من صفحات هذا العالم الذي نحيا بين أرضه وسمائه، بل على انتزاع هذه الأدلة من كيان الإنسان نفسه منذ يولد إلى أن يموت".[3] (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) الطارق: (5–7) (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا). عبس: (24–31) (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ). الروم: 8 (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ. أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ). ق: (5–8).

ويعقب الشيخ على ذلك قائلا: "على هذا النسق المشرق المهتز بالندى مع الحدائق والأزهار الساري في الوجود مع الأشعة والأنوار وفي طريق يربط النفس بالحياة المتحركة والفلك الدوار ويفتح العين على سر الوجود كلما اختلف الليل والنهار. على هذا النسق يؤسس الإسلام عقائده في القلوب"[4]. وعن قوة طريقة القرآن في صياغة دليل الإبداع يذكر الشيخ قائلا:" أما القرآن فالبساطة المطلقة سمة ملحوظة في العقائد التي ساقها كلها والأدلة التي نصبها لترشد العقل إليها أدلة يتألق السنا في رونقها فلو أنها لم تكن علما مشبعا للفكر لكانت أدبا تربو به العاطفة، فكيف وهي مؤسسة للأمرين معا: اليقين والاقتناع؟".[5]

وهنا يلفت الغزالي أنظار مدرسي العقيدة الإسلامية إلى أمر منهجي مهم يتعلق بكيفية تدريس قضية وجود الله فينبه إلى ضرورة القيام بتقديم دروس عملية في العقيدة لطلاب المدارس وللناس، دروس مستوحاة من طريقة القرآن فيقول: "وخير درس في تعريف الله إلى الناس أن ننتقل بهم إلى مشاهد الكون فنذهب بالطلاب إلى

---

[1] عبد الله، محمد رمضان. **الباقلاني وآراؤه الكلامية**، مطبعة الأمة، بغداد، 1986م، ص403.

[2] رواه الطبراني في **المعجم الأوسط**، (6319)، والبيهقي في **شعب الإيمان**، (458)

[3] الغزالي، محمد. **كيف نفهم الإسلام**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2005م، ص80.

[4] المرجع نفسه: ص80

[5] المرجع نفسه، ص81.

حديقة نضرة أو حقل مهتز ثم نلفت أنظارهم إلى ما انشقت عنه الأرض من أغراس وأعواد"[1]. وفي هذا السياق، أخذ الغزالي يطرح عدة أسئلة؛ الهدف منها: بناء منهجية للتفكير الصحيح والمنطقي في كيفية الوصول إلى الله، قائلا:" مَن الذي وضع السكر السائل في هذا القصب وهو يروى بماء كدر وخارج وسط تربة منتنة؟ من الذي زرع الألوان وأنواع العطور على هذه الورود المختلفة والأزهار الباسمة؟ من الذي رصّ الحب في سنابل القمح والأرز، وغلّف كل حبة في قشرة خاصة بها بعدما أودع فيها غذاء تلتقي فيه مواد كثيرة موزونة المقادير والنسب؟ من؟ من الذي مدّ رقعة هذا البحر الموار وركم فيه الماء أمواجا...ثم من الذي رسم للأجسام الطافية عليه قانونا دقيقا يجعل الماء يغمرها بقدر وينحسر عنها بقدر؟ ومن الذي زوّد الأحياء العائشة في جوفه بأجهزة للتنفس تمكّنها وحدها من استخلاص حاجتها إلى الهواء؟ من الذي رفع هذه السماوات المبهمة وبثّ في أنحائها الألوف المؤلفة من النجوم والكواكب وأشاع في قبابها الزرق أسرارا رهيبة، لا يزال البشر يرمقونها بتهيب دون أن يعرفوا شيئا منها ولا مما وراءها من؟ من؟" ثم يجيب عن كل ما تقدم قائلا: "إنه الله"[2].

وفي السياق ذاته تحدث الغزالي عن الإبداع في خلق الإنسان، فقال: "إنه سبحانه الذي أنشأنا من عدم... كيف بدأت هذه النشأة؟ إنها لم تبدأ في طريق مفروش بالورود تحفّه المعادن النفيسة!! إنها بدأت من ماء مهين يمشي مع الفضلات البشرية في مجاري واحدة"[3]. (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ). المرسلات: (20–22) ويتابع قائلا:" في هذا المستقر يتكون البشر، العبقري منهم والبليد، ويولد إنسان عجيب المواهب رائع التقويم".[4] ثم يتساءل: "من أشرف على إبداعه؟ إن آله الأقربين يرقبون ما يحدث وحسب"[5]. ولذلك يقول الله: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ). المرسلات: 23.

والحق فإن هذه الصور المستوحاة من الطبيعة والإنسان، تجعل العقيدة درسا حيا، تلفت أنظار العقلاء وأولي الألباب من جهة، وتترك أثرا تربويا عميقا في النفس من جهة ثانية.

---

[1] كيف نفهم الإسلام، المرجع السابق: ص81

[2] المرجع نفسه، ص82.

[3] الغزالي، محمد. نحو تفسير موضوعي، مرجع سابق، ص494.

[4] المرجع نفسه، ص494.

[5] المرجع نفسه، ص494.

المطلب الثالث: دليل العناية

دليل العناية ننظر إليه من خلال اعتبار جميع الموجودات تسير في اتجاه العناية بالإنسان. وهي موافقة لطبيعة وجوده الإنساني.[1] وقد تحدث عنه علماؤنا الأقدمون من متكلمين وفلاسفة ومنهم من أفرد له الكتب، ولعل أبرزهم الجاحظ[2] وأبو حامد الغزالي[3] والرازي[4] وابن القيم[5] وابن رشد[6] كما تحدّث عنه من العلماء المحدثين: مصطفى صبري[7] ونديم الجسر[8] ووحيد الدين خان وغيرهم.[9] وأما محمد الغزالي فأخذ يصول ويجول في الاستدلال بهذا الدليل على وجود الله. من ذلك قوله: "لو دخل المرء دارا، فوجد بها غرفة مهيأة للطعام، وأخرى للمنام، وأخرى للنظافة، وأخرى للضيافة...الخ، لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده، وأن هذا الإعداد النافع لابد قد نشأ عن تقدير وحكمة وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل".[10] ويقول:" والناظر في الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب وأفاد منها الناس أجلّ الفوائد".[11] ثم يستشهد لقوله بالآيات القرآنية مثل قوله تعالى:(تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) الفرقان:(61، 62) (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الجاثية: (12، 13)

وفي كتابه "التفسير الموضوعي" تحدث عن العناية الإلهية ضمن تعليقه على قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا). المرسلات: (25، 26) قائلا: "الكفت: الضم والجمع، والآيات تشير إلى الجاذبية الأرضية

[1] ابن رشد. مناهج الأدلة، مرجع سابق، ص150.

[2] ينظر كتابه: الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، مكتبة الكليات الأزهرية.

[3] ينظر كتابه: الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق الدكتور محمد رشيد قباني، بيروت: دار احياء العلوم، 1978م.

[4] ينظر كتابيه: أسرار التنزيل وأنوار التأويل، تحقيق الدكتور احمد حجازي السقا، المكتبة الازهرية للتراث،2016، ط4. والتفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.

[5] ينظر كتابه: 22. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لبنان: دار الكتب العلمية.

[6] ينظر كتابه: مناهج الأدلة في عقائد الملّة، تحقيق: د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو- مصرية 1964

[7] ينظر كتابه: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ- 1981م، ط2.

[8] ينظر كتابه: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، لبنان: دار الخلود، 1969، ط3.

[9] الكبيسي، إسماعيل محمد. الاستدلال بدليل نظام الكون على وجود الله تعالى بين المتقدمين والمحدثين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، الأنبار، العراق، 1443هـ، 2021م، ص377-420.

[10] الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص13.

[11] المرجع نفسه، ص13.

التي تربط الأحياء والأموات بالأرض وتلصق كل شيء بها لا تسمح له بفكاك !!".[1] ويواصل حديثه قائلا:" إن غزاة الجو وهم في الطريق إلى القمر نظروا إلى الأرض وهم على بعد مئات الأميال منها، ثم تساءلوا: من يمسكها في مكانها؟". ويسترسل قائلا:" وأتساءل معهم من يمسك الماء على سطحها وهو أربعة أخماس الكرة؟ لماذا لم ينسكب في الجو؟" فيجيب:" لأن الله جعل الأرض كفاتا تجذب كل قطرة إليها" ثم ينتهي من ذلك كله بالتعجب، قائلا:" أي لطافة سارية في البر والبحر تقوم بهذا الصنيع الباهر؟" (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا). المرسلات: 27، ويتساءل:" هل هناك تعريف بالله وحقوقه أفضل من هذا التعريف؟ "إنني عندما أتأمل في نعماء الله أشعر بأن الكون كله يشترك في خدمتي، ولكن: (قتل الإنسان ما أكفره)".[2]

وهكذا نرى الغزالي في دليل العناية، يثبت بالحجج والبراهين أن كل ما في الكون جاء متوافقا مع حياة الإنسان واستقراره فوق ظهر هذا الكوكب، وهو لأجل هذا يجوب بنظره في الآفاق ويقتنص الأمثلة من هنا وهناك، منطلقا من كتاب الله العزيز ليؤكد مدى التوافق بين كتاب الله المنظور (الكون) وكتاب الله المسطور (القرآن) في مدى العناية بهذا المخلوق، استنادا لقوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت:53 ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الغزالي أفاض الحديث كثيرا في هذا الدليل، فبسطه في كتبه وضرب له الأمثلة، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: لأنه دليل القرآن، فقد أكثر القرآن الكريم منه بصورة تلفت الانتباه.

الثاني: أنه منتزع من حركة الحياة والواقع.

الثالث: أنه حيوي متجدد مع تجدد الاكتشافات العلمية، فلا يمكن أن يخفت أو يفقد قوته مع تطور العصر؛ بل على العكس، كلما تقدم العصر بكشوفاته تعززت الأدلة على وجود الله.

المطلب الرابع: دليل الحركة

وتقرير هذا الدليل عنده يبدأ بالسؤال الآتي: "هل فكّرت في هذه الكواكب السيارة المنطلقة بسرعة واحدة وتلتزم مدارا واحدا لا تحيد عنه؟ إن الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا تلبث أن تهوى بعد تحليق أما هذه الكرات الغليظة الحجم، الحي منها والميت، المضيء منها والمعتم، فهي معلقة لا تسقط، سائرة لا تقف، كلٌّ في دائرته لا يعدوها، وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل، أما هذه الكواكب التي تزحم

---

[1] الغزالي، محمد. التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص494.

[2] الغزالي، محمد. التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص493.

الفضاء فإنها لا تزيغ ولا تصطدم".[1] (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يس:(38–40). ثم يتساءل: "من الذي هيمن على نظامها وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة؟".[2] فيجيب:" إنها لا ترتكز في علوّها إلا على دعائم القدرة، ولا تطير إلا بأجنحة أعارها لها القدر الأعلى"[3]. ويستشهد لذلك بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا). فاطر: 41.

إن دليل الحركة هذا، استنبطه الغزالي من حركة الكواكب والشموس والأقمار وكيف أنها تدور في مداراتها ولا تصطدم –على كثرتها– مع بعضها البعض، فهذا الوضع من يشرف عليه سوى الله؟ ولا يخفى أن "دليل الحركة" هذا يمكن أن يندرج تحت دليل العناية، وأما اختلاف التسميات التي أطلقها المعاصرون فهي –برأيي– لاستمالة الأنظار وإثارة الانتباه إلى ما في الكون من آيات متنوعة تمثل أدلة ساطعة على وجود الله.

المطلب الخامس: دليل الحدوث

لا يخفى أن دليل الحدوث يمثل العمدة في الأدلة في هذا الباب، وعلماء الكلام اعتمدوه في الرد على خصومهم وإلزامهم به بشكل قاطع. حيث يثبتون فيه أولية لهذا الكون ضد ما كان سائدا عند الفلاسفة اليونان أن الكون أزلي وهو ما أيّده العلم الحديث بحسب نظرية الانفجار الكوني.[4] وقد أورد الغزالي هذا الدليل ضمن الأدلة المعتمدة وصاغه كما يأتي: "لا شك أن لوجود كل واحد منا بداية معروفة، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر".[5] (هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) الإنسان: 1 ويسترسل قائلا:" وعناصر الكون الذي نعيش فيه كذلك، لها بداية معروفة، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعمارا محدودة مهما طالت، فقد كانت قبلها صفرا... إننا جازمون بأن وجودنا محدث، لأن تفكيرنا وإحساسنا يهدينا لذلك. وغير معقول أن يتطور العدم إلى وجود تطورا ذاتيا".[6] ويضيف:" إنه إذا وقعت حادثة لم يظهر فاعلها قيل: إن الفاعل مجهول.

---

[1] الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، مرجع سابق. ص14.

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص14.

[4] النقيدان، عبد الحكيم. **الفيزياء الحديثة وأدلة وجود الله**، مجلة أوج، إصدار مركز دلائل، العدد 3، 1439هـ /2017 م، ص24.

[5] الغزالي، محمد. عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص15.

[6] المرجع نفسه، ص15.

ولم يقل أحد قط: إنه ليس لها فاعل. فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وبين ربه؟"[1] إننا لم نكن شيئا فكنا، فمن كوّننا؟ (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) الأنعام: 91. وهكذا يتضح الطرح العقلي لدليل الحدوث عند الشيخ الغزالي، فحدوث العالم ثابت عقلا ومادام قد ثبت حدوثه، فله إذن محدث أحدثه وموجد أوجده، لأنه لا يمكن أن يتحول العدم إلى وجود بشكل تلقائي ولا عن طريق التطور الذاتي كما بيّن. ونلاحظ أيضا إشارة الغزالي إلى الجيولوجيين لإثبات بداية انطلق منها هذا الكون كانت قبلها صفرا، وهو ما بات يعرف الآن بنظرية الانفجار الكوني.

المبحث الثاني: تفنيد الشبهات المتعلقة بوجود الله

لعلم العقائد الإسلامية وظيفتان اثنتان: الأولى: ذكر الحجج والبراهين النقلية والعقلية والاستدلال بها على قضايا العقيدة الإسلامية، والثانية: حماية جناب التوحيد وتحصين عقائد المسلمين بذكر الشبهات المتعلقة بتلك القضايا والقيام بتفنيدها. وقد قام علماء المسلمين قديما وحديثا بهاتين المهمتين الجليلتين خير قيام، وهكذا عمل الشيخ الغزالي؛ فبعد تقديمه الأدلة على وجود الله، قام باستعراض الشبهات التي تعترض وجوده سبحانه، ثم الرد عليها، وكما يأتي:

المطلب الأول: تفنيد القول بالصُّدفة

الصُّدفة في معاجم الفلسفة تعني: ما يخرج على النظام والقانون المعروف ولا يبدو له سبب ولا غاية واضحة وهو أشبه ما يكون بالاتفاق.[2] وقد دافع بعض الماديين عن مبدأ الصدفة وعدّوه واحدا من أكبر المقولات المتعلقة بتفسير الكون.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص15.

[2] الصدفة هي اتفاق مجهول العلّة، أو هي سلب الضرورة. الحفني، عبد المنعم. **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000م، ص462.

[3] يرى بعض الماديين أن النظام الموجود والمشاهد في الكون هو نتيجة لصدفة عمياء حدثت في لحظة ما من زمن طويل ظلت فيه الذرات المادية المكونة للكون تدور في حركة شاملة حتى انتظمت على هذا النحو الذي نشاهد عليه الكون اليوم، ولكن هذا الافتراض لا يلبث أن يتلاشى إذا وقع العلم بأن هذه الحركة العشوائية لذرات الكون تتطلب لكي يحدث النظام الكوني من خلالها بطريق الصدفة زمنا طويلا جدا أكبر بكثير من عمر الكون نفسه، وقد قدره عالم الرياضيات الشهير تشارلز يوقين قواي " CHARLES GUYE" فيما يتعلق بنظام خلية إنسانية فقط ب "10 إلى جانبها 160 صفرا من السنوات" علما بأن عمر الكون لا يتجاوز 15 مليار سنة فقط". مجموعة مؤلفين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، جامعة قطر، ط2، 2006، ص95، 96.

من هنا ذهب الشيخ الغزالي يتساءل: هل العالم خُلق صدفة؟ وانطلق في تفنيده لهذه الشبهة قائلا: "نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة، يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافا"[1] فموقع الأرض بالنسبة للشمس محدد بدقة وعناية، وأنه لولا ذلك لما أصبحت الأرض صالحة للحياة: "أفتظن إقامتها في مكانها ذاك لتنعم بحرارة مناسبة، جاء خبط عشواء؟!".[2] ثم أخذ الغزالي يتنقل بين شتى الظواهر الكونية التي يحاول الماديون إحالتها إلى الصدفة، ليردّها هو إلى العناية الإلهية التي أوجدت الأشياء عن قصد وتدبير لا عن صدفة عمياء، فقد تحدّث عن ظاهرة "المد والجزر" المرتبطة بموقع القمر وأنه لو كان الأمر بالاتفاق أو الصدفة كما يقولون لكان من الممكن أن يقترب القمر من أمّه أكثر، فيسحب أمواج المحيطات سحبا يغطي به وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شيء؛ فمن الذي أقام القمر على هذا المدى المحدد ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك؟.[3] ثم انتقل للحديث عن ظاهرة تعرف في علم الأحياء بعملية "التمثيل الضوئي" والتبادل الذي يحدث من خلالها بين الكائنات "الإنسان والحيوان" وبين "النباتات"، فتقوم الأولى بتقديم ما تتنفس به الثانية من غاز ثاني أوكسيد الكربون، لتقوم الثانية بتزويد الأولى بما يحتاجونه من أوكسجين وأنه لولا هذا التبادل أو هذه المقايضة المدهشة على حد تعبير الشيخ نديم الجسر لما استمرت الحياة. وهنا يتساءل الغزالي مرة أخرى مستغربا:" أفتحسب هذا التوافق حصل من تلقاء نفسه؟!".[4] ثم يلتفت التفاتة أخرى، ولكن هذه المرة عن زهرة يلتقطها من إحدى الحدائق ويتساءل: "ريشة من هذه التي صنعت هذه الألوان ونسّقتها في هذه الزهرة؟! ترى هل هو التراب الذي نبتت في وسطه هذه الزهرة هو الذي رسم هذه الألوان ووزّع تلك الأصباغ؟ بالطبع لا. فهل الصدفة هي التي أشرفت على ذلك؟" ثم يجيب: "إن المرء يكون غبيّا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو".[5] وإن "إحالة الأمور على المصادفات ضرب من الدجل العلمي يرفضه أولو الألباب"[6]. ثم أورد الغزالي هذا البرهان العقلي الذي يستحيل معه البتة القول بالصدفة قائلا: "لنفرض أن الآلة الكاتبة في أحد الدواوين وجدت بجوارها ورقة مكتوب عليها اسم (عمر) ماذا يعني هذا؟ أحد أمرين: أقربهما إلى البداهة هو أن خبيرا بالكتابة طبع الاسم على الورقة. والأمر الثاني: أن حروف الاسم تجمعت وترتبت وتلاقت هكذا جزافا. إن الفرض الأخير معناه من الناحية العلمية ما يأتي:

---

[1] عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] المرجع نفسه، ص16.

[4] عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص16، والجسر، نديم. **قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن**، دار العربية، بيروت، ط3، 1389هـ/ 1969م، ص344.

[5] عقيدة المسلم، ص17

[6] المرجع نفسه، ص 17

الابتداء بكتابة العين أو سقوط حرفها وحده على الورقة دون وعي يجوز بنسبة (1 إلى 28) وهو عدد حروف الهجاء العربية. وسقوط حرفي العين والميم يجوز بنسبة (1 إلى 28 x 28) ونزول الحروف الثلاثة بعوامل الصدفة المحضة يجوز بنسبة (1 x 28 x 28 x 28) أي بنسبة:(1 إلى 21952)".[1] ثم ينتهي من تلك الفروض الحسابية إلى القول: "وليس أغبى فكرا ممن يترك الفرض الوحيد المعقول ويؤثر عليه فرضا آخر لا يتصور وقوعه إلا مرة بين اثنتين وعشرين ألف مرة".[2] ويضيف مسترسلا: "والصدف حين تخطُّ على القرطاس كلمة عمر أقرب إلى الذهن من تصور الصدف هذه تخلق قطرة ماء في المحيطات الغامرة، أو حبة رمل في الصحاري الشاسعة".[3] ويخلص بعد هذا كله إلى هذه النتيجة: "إن العلم برئ من مزاعم الإلحاد، ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء".[4]

وفي كتابه "ركائز الإيمان" يذكر الغزالي أنه يحترم النتائج العلمية التي توصل إليها أهل العلم بشأن الإنسان، ثم لا يلبث –بعد أن يذكر لنا طرفا منها–، أن يقوم بتوظيفها في الرد على القائلين بالصُّدفة. فقد جاء في هذا الكتاب قوله: "إنني شديد الاحترام للدراسات التجريبية المتيقنة التي يتميز بها عصرنا هذا. ولقد أبصر الإنسان في نفسه، وتابع التأمل في الطريقة التي تدور بها أجهزته وتتحرك أعضاؤه ثم عاد بمجموعات من المعارف الساحرة تتضافر على تكوين عقيدة راسخة في إله بديع قدير". ويضيف: "إن القول بأن السد العالي بُني من تلقاء نفسه أو أن القنبلة الذرية انطلقت من تلقاء نفسها أقرب إلى التصديق من القول بأن الجسم الإنساني تخلّق هكذا دون إشراف أو تدبير وبلا خطة ولا حكمة ذلك أن الطريقة التي تكوّن بها الجسم والتي يحيا بها آنا بعد آن أروع وأبدع ألف ألف مرة من أعظم المنجزات والكشوف التي عرفناها".[5] ثم أخذ يقتبس عن ألكسيس كاريل عدة صفحات من كتابه "الإنسان ذلك المجهول" والتي تحدث فيها عن عجائب الخلق في أجهزة الإنسان وهي معروفة لدى علماء الطب والتشريح ويهمنا هنا تعليق الغزالي عليها إذ يقول: "ونتساءل مثنى وثلاث ورباع: أين مكان الصدفة في سير الحياة داخل هذا الجسم الإنساني؟ وكيف يقول امرؤ يحترم نفسه أن انبجاس الدم في القلب وانسكابه في ألوف العروق والشعيرات وقيامه بهذه الوظائف الرهيبة، كل ذلك يتم خبط عشواء!!".[6]

[1] المرجع نفسه، ص17، 18.
[2] المرجع نفسه، ص18.
[3] المرجع نفسه، ص18.
[4] المرجع نفسه، ص18.
[5] الغزالي، محمد. **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، دار الشروق، بيروت، دون طبعة، ص46.
[6] المرجع نفسه، ص50.

وهكذا نرى الغزالي يدحض بالأدلة العلمية، والبراهين العقلية شبهة القول بالصدفة، ليثبت لنا أن نظام الكون بهذه الدقة المتناهية؛ وهذا الإنسان بهذه العجائب المتتالية، كل ذلك لا يمكن أن يقوم وحده، أو أن يوجد من تلقاء نفسه صدفة من غير أن تكون هناك قوة قادرة فعلت عن قصد وتدبير وعناية فائقة كل ما موجود في هذا الكون ليكون كونا صالحا للحياة. وأوجدت هذا الإنسان بهذه الهيئة العجيبة ليقوم بوظيفته في إدارة هذا الكون وفق منهج الله.

إن الإنسان الذي يحترم عقله، لا يمكن أن يسلّم بالقول بالصدفة أبدا بعد أن يرى هذا التدبير الإلهي يحيط بكل شيء من الذرة وحتى المجرة، خلقا، وقصدا، وتدبيرا، وعناية. وهو بالفعل ما أيّده وما يزال يؤيده العلم. يقول "هرشل" أحد فلاسفة القرن الثامن عشر:" إنه كلما اتسع نطاق العلوم تحققت وكثرت الأدلة على وجود حكمة خالقة قادرة مطلقة وعلماء الأرضيات والهيئة والطبيعيات والرياضة يهيئون بمساعيهم واكتشافاتهم كل ما يلزم لإنشاء معبد العلوم! إعلاء لكلمة الحق".[1]

المطلب الثاني: الرد على الإلحاد ونموذج حوار دار بينه وبين ملحد

نقصد بالإلحاد في هذا البحث، معناه الفلسفي[2]، أي: إنكار وجود الله، وعدم الاعتقاد بوجود إله خالق لهذا الكون. وأن المادة هي الخالقة والمخلوقة، وأن العلم يكفي لتفسير جميع الأسرار. وقد لازمت نشأته بهذا المعنى، التطور العلمي والإنساني الذي حصل في أوربا مع دخول عصر التنوير في القرن الثامن عشر، ومع بداية الثورة الصناعية نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهو نتاج ثورة الحداثة ضد محاكم التفتيش، وملاحقة العلماء والمفكرين وتحريم قراءة أعمالهم وكتبهم ومعارضة الكنيسة الشديدة للكشوفات العلمية التي ظهرت آنذاك؛ مما أنتج التشكيك في العقائد الموروثة، ومن أمثلة ذلك ما قاله لابلاس لنابليون: "إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير إله".[3] ومن الأمثلة السافرة عليه أيضا، قول نيتشه: "لقد مات الإله". وهذا الأقوال تشير بوضوح إلى تراجع الدين في الثقافة الأوربية، ويعزّز من فكرة تأسيس القيم والمعتقدات في ضوء العقل والفلسفة المادية بعيدا عن تفسيرات الكتب المقدسة: " فإنّ القوة التكنولوجية المتزايدة التي أطلقها العلم منحت الناس شعورًا بتحكُّم أكبر في الطبيعة، فإنّ الشعور بالضآلة تحت رحمة القِوى الغامضة كان له دورٌ

---

[1] عقيدة المسلم، مرجع سابق. ص20.

[2] جاء في موسوعة لالاند الفلسفية: مادة إلحاد: "ATHEISME ": عقيدة قوامها إنكار وجود الله". لالاند، أندريه. **موسوعة لالاند**، تعريب، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001م، ج1، ص107.

[3] العقاد، عباس محمود. **عقائد المفكرين**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دون تاريخ، ص23.

مهمٌ في تمزيق المعتقد الديني".[1] ومع خشية انتقال هذه الأفكار إلى المجتمعات المتدينة عموما والإسلامية خصوصا، لا سيما وأنها قادمة من حضارة متفوقة علميا إلى مجتمعات متخلفة، رأى العلماء والمفكرون أن من واجبهم النهوض لحراسة عقائد المسلمين من هذا الغزو الفكري المتمثل بالموجة الإلحادية الحديثة، وكما وقف علماء المسلمين سابقا ضد الطبائعيين والدهريين والزنادقة، قام علماء المسلمين المعاصرين بالتصدي لهذه الظاهرة وألّف الكثير منهم في الرد عليها وتفنيد حجج أصحابها، مبيّنين أن الإيمان بوجود الله مما تنطق به الفطرة ويدل عليه العقل، وأن الإلحاد لا يمكن أن يستقيم لا مع العقل ولا مع الفطرة، وأن التصادم بين العقل والدين غير موجود في الثقافة الإسلامية؛ بل هو من إفرازات عصر التقدم العلمي في الغرب وفقا للظروف التي كانت سائدة فيه آنذاك. ومن هنا انبرى الشيخ الغزالي الذي كانت له ردود ومناقشات في الرد على الإلحاد، وتفنيد الشبه المتصلة به منها: إشرافه على رسالة ماجستير قبل 40 سنة تقريبا بعنوان "الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة"[2]. ومنها كتابات ومقالات عدة مثل: "حوار دار بيني وبين ملحد" "لا علاقة بين العلم والإلحاد" "العلم يدعو للإيمان" وغيرها من المقالات فضلا عما كتبه في بعض كتبه ومنها "عقيدة المسلم" و"ركائز الإيمان" وغيرها.

وقبل أن نورد نموذج ما دار بينه وبين أحد الملاحدة، نودّ أن نبين أن الغزالي يريد من وراء الرد على الفكر المادي الإلحادي أن يحمي عقيدة المسلمين، ولا سيما بعض الشباب المتأثر بالموجة الإلحادية، وأن يبين لهؤلاء أن تأثرهم ناشئ لا عن علم ودراية، وإنما عن تقليد وانبهار. من ذلك ما حكاه هو نفسه قائلا:" قابلت أحدهم يوما ...يجادلني في وجود الله ويسوق كلمات حفظها من نظرية النشوء والارتقاء ويريد ليوهمني أن خلق إنسان سوي المشاعر نابض الأجهزة لمّاح الذكاء، أضحى عملا في مقدور العلم، وأن معامل الكيمياء توشك أن تفاجئنا بهذا الاختراع...".[3] وشرع الغزالي يرد عليه، وهنا أخذ ينبهنا إلى حقيقة مهمة جديرة بالوقوف عندها، وهي أن من الخرافات الشائعة عندنا أن كثيرا من عظماء التاريخ لا أخلاق لهم وأن كثيرا من علماء الكون لا إيمان لهم. وهو ما نفاه الغزالي مبينا أن العلماء المؤمنين في هذا العالم من الكثرة بمكان، وأن الملحدين ليسوا

---

[1] إمريس ويستاكوت. ترجمة: نورة صالح، **ماذا يعني نيتشه عندما يقول إنَّ الإله قد مَات؟ تفسير لهذه الأحجية الفلسفية الشهيرة**. على الرابط: https://atharah.com/nietzsche-god-is-dead/

[2] صالح، إسحاق بامبا صالح، **الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة**. إشراف، محمد الغزالي، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 1401هـ. وهو دراسة مطولة عن تاريخ الإلحاد في الغرب وأبرز رجاله وأبرز النظريات العلمية التي ارتكز عليها، وحاول المؤلف أن يقوم بنقد كثير من تلك النظريات، ويكشف عن مواطن الخلل التي وقعت في الإلحاد الغربي المعاصر، ثم ختم المؤلف رسالته بفصول شرح فيها الآثار العلمية والنفسية والمجتمعية والاقتصادية التي ترتبت على الإلحاد في المجتمعات الغربية. الرسالة غير مطبوعة وهي منشورة على شبكة الإنترنت.

[3] الغزالي، محمد. **من مقالات الشيخ الغزالي**، جمع عبد الحميد حسنين حسن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط4، 2005م، ج1، ص192.

في الواقع إلا أعداد قلائل وهم نشاز في هذا الكون المسبّح بحمد ربه –وبرأيي– فإن هذا الأمر مهم ويجب بيانه في الطروحات العقائدية المعاصرة. لبيان أن العلم أخٌ للإيمان وأنهما يتوافقان ولا يتصادمان. وأن الإلحاد لا تصمد له حجة مع كثرة الآيات الدالّة على وجود الله، وأنه آخذ بالأفول وليست لديه القوة الذاتية للانتشار مثل الإيمان بالله. يقول الغزالي:" وأحسب أن ترويج هذه الخرافة بعض ما تلجأ إليه الشياطين في محاربة الإيمان والأخلاق حتى تنشأ الأجيال الغضة وهي تحسب أن التحلل والتمرد أقصر الطرق إلى العبقرية والسمو".[1] وفي هذا الصدد تحدّث الغزالي في بعض كتاباته ومقالاته، وذكر عن آينشتاين – صاحب النظرية النسبية– أنه كان من المؤمنين، كما كان الغزالي يستشهد بأقوال كثيرين من علماء الكون مثل: كريسي موريسون صاحب كتاب "العلم يدعو للإيمان". وقد ذكر الغزالي هذا الكتاب بالثناء عليه وعلى صاحبه، ومما جاء في تعليقه على منهج مؤلفه فيه قوله:" مسلك المؤلف في كتابه هذا يقوم على عرض الحقائق المتيقنة عرضا لا أثر فيه للأوهام والفروض، ولا مكان فيه للمغيّبات والنصوص. إنه يحترم قوانين المنطق الحديث والفلسفة الحرة ويستهدي إلى غاياته طرقا لا يختلف على صحتها المؤمنون بما وراء المادة والجاحدون لها". وأضاف قائلا: " إن ثروة هذا الرجل في المعارف الكونية طائلة هائلة وإنك لتعجب أهو أخصائي في الفلك أم في التشريح أم في الكيمياء أم في غيرها؟". ثم قال وهو يتابع الحديث عن الكتاب:" والكتاب كله تفصيل مطّرد متسق لما أسماه علماء التوحيد عندنا "بدليل الإبداع"، وأساس هذا الدليل على وجود الله: لفت النظر إلى ما في الكون من دقة وحكمة".[2] –وبرأيي– فإن هذا الكتاب اكتسب أهميته من عدة زوايا: كون مؤلفه أولا متخصصا في علوم الكون والطبيعة وهو رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك، وثانيا: الطرح الذي فيه يكشف عن دور العلوم التجريبية في إثبات صحة العقيدة، وثالثا: فيه الرد على الشبهات كشبهة القول بالصدفة من عالم متخصص، ورابعا: أنه جاء في وقت كانت فيه الموجة الإلحادية عاتية، وخامسا: بيان أن العلم يدعم الإيمان ولا يدعم الإلحاد.

نموذج من حوار دار بينه وبين أحد الملاحدة

سنلاحظ في هذا الحوار الذي دار بين الشيخ الغزالي وبين أحد الملاحدة، الرد على ثلاث مسائل أساسية: مسألة الرد على الصدفة وقد بينا طرفا منها، وسنورد جزءا مختصرا منها هنا، ومسألة الرد على نظرية التطور التي يتمسك بها الملاحدة المعاصرون لبيان عدم الحاجة إلى وجود خالق. ومشكلة الشر وهي أحد الأركان الرئيسة في البنيان الإلحادي المعاصر ويتمسكون بها بقوة لدعم إلحادهم بالله. ولنتابع الحوار:

[1] المرجع نفسه، ص193.

[2] من مقالات الشيخ الغزالي، مرجع سابق، ج1، ص194.

يقول الغزالي: "دار بيني وبين أحد الملاحدة جدال طويل... قال: إذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله؟ قلت: ...إذا كنت ترى أن إلها ليس له خالق خرافة، فعالم ليس له خالق خرافة كذلك، وفق المنطق الذي تسير عليه...!".[1] قال –الملحد–: "إننا نعيش في هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع أن ننكره! قلت له: ومن طالبك بإنكار وجود العالم؟ إننا عندما نركب عربة أو باخرة أو طائرة تنطلق بنا في طريق رهيب، فتساؤلنا ليس في وجود العربة، وإنما هو: هل تسير وحدها أم يسيرها قائد بصير؟!".[2]

جاء في هذه المحاورة أيضا: " قال الملحد: "إن العالم وُجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء، ولا نعرف الأصل ولا التفاصيل!! قلت له: أشرح لكم ما تقولون: تقولون: إنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب في أجواز الفضاء، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقي سنحت فرصة فريدة لن تتكرر أبد الدهر، فنشأت الخلية الحية في شكلها البدائي ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى!! أعمال حسابية معقدة تقولون: إنها خُلّت تلقائيا، وكائنات دقيقة وجليلة تزعمون أنها ظفرت بالحياة في فرصة سنحت ولن تعود!! وذلك كله فرارا من الإيمان بالله الكبير".[3]!!

انتقل الشيخ بعدها في حواره مع الملحد إلى مناقشة شبهة أخرى يرددونها بشكل مستمر، وهي مشكلة الشر وكيف يستقيم القول بوجود إله رحيم مع وجود المآسي والشرور. ولنتابع: " قال الملحد– وهو ساخط – أفلو كان هناك الله كما تقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسي والآلام؟، ونرى ثراء يمرح فيه الأغبياء وضيقا يحتبس فيه الأذكياء، وأطفالا لا يمرضون ويموتون، ومشوهين يحيون منغصين.. إلخ"[4]. وللرد على هذه الشبهة التي تطّرح اليوم بشكل قوي في الساحة الفكرية الإلحادية المعاصرة ذكر الغزالي قائلا:

" آفتكم أنكم لا تعرفون طبيعة الحياة الدنيا، ووظيفة البشر فيها أنها معبر مؤقت إلى مستقر دائم، ولكي يجوز الإنسان هذا المعبر إلى إحدى خاتمتيه لابد أن يبتلي بما يصقل معدنه ويهذب طباعه، وهذا الابتلاء فنون شتى، وعندما ينجح المؤمنون في التغلب على العقبات التي ملأت طريقهم، وتبقى صلتهم بالله واضحة مهما ترادفت البأساء والضراء فإنهم يعودون إلى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم (يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) (الزخرف: 68).

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص17.
[2] المرجع نفسه، ج1، ص17.
[3] المرجع نفسه، ج1، ص19.
[4] المرجع نفسه، ج1، ص20.

قال: وما ضرورة هذا الابتلاء؟ قلت: إن المرء يسهر الليالي في تحصيل العلم، ويتصبّب جبينه عرقا ليحصل على الراحة، وما يسند منصب كبير إلا لمن تمرّس بالتجارب وتعرّض للمتاعب، فإن كان ذلك هو القانون السائد في الحياة القصيرةِ التي نحياها على ظهر الأرض فأيُّ غرابة أن يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب؟

قال مستهزئا: أهذه فلسفتكم في تسويغ المآسي التي تخالط حياة الخلق، وتصبير الجماهير عليها؟

قلت: سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور، إن هذه الآلام قسمان: قسم من قدر الله في هذه الدنيا، لا تقوم الحياة إلا به، ولا تنضج رسالة الإنسان إلا على حَرّه، فالأمر كما يقول الأستاذ العقاد "تكافل بين أجزاء الوجود، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدة، وقد يطرد هذا القول في لذاتنا المحسوسة كما يطرد في فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالرِّي ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح.."[1]، ويتابع قائلا:

"وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ينضمُّ إليه، أن الله جلّ شأنه يختبر كل امرئ بما يناسب جبلته ويوائم نفسه وبيئته، وما أبعد الفروق بين إنسان وإنسان، وقد يصرخ إنسان مما لا يكترث به آخر، ولله في خلقه شئون، والمهم أن أحداث الحياة الخاصة والعامة محكومة بإطار شامل من العدالة الإلهية التي لا ريب فيها، ويتابع الشيخ: "أما القسم الثاني من الشرور التي تشكو منها يا صاحبي فمحوره خطؤك أنت وأشباهك من المنحرفين. قال مستنكرا: أنا وأشباهي لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى! فكيف تتهمنا؟ قلت: بل أنتم مسئولون، فإن الله وضع للعالم نظاما جيدا يكفل له سعادته، ويجعل قويّه عونا لضعيفه وغنيّه برّا بفقيره، وحذر من اتباع الأهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود. ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: 97). فإذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم إذا حصدوا المر من آثامهم؟ إن أغلب ما أحدق بالعالم من شرور يرجع إلى شروده عن الصراط المستقيم، وفي هذا يقول الله جل شأنه (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ). (الشورى: 30).

[1] المرجع السابق، ج1، ص21.

ويتابع –رحمه الله – قائلا:" ومن خسّة بعض الناس أن يلعن السماء إذا فسدت الأرض!! وبدلا من أن يقوم بواجبه في تغيير الفوضى وإقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين...!! إنكم معشر الماديين مرضى، تحتاج ضمائركم وأفكاركم إلى علاج بعد علاج" قال الغزالي في نهاية الحوار:" وعدت إلى نفسي بعد هذا الحوار الجاد أسألها: إن الأمراض توشك أن تتحول إلى وباء، فهل لدينا من يأسو الجراح ويشفي السقام، أم أن الأزمة في الدعاة المسلمين ستظل خانقة".[1] ؟!!

الخاتمة:

إذا كان الكلام صناعة قامت أساسا لنصرة قضايا العقائد، وتزييف كل ما خالفها من الأقاويل، فقد رأينا في هذا البحث كيف انتهض الشيخ الغزالي، يسوق الأدلة ويقدم البراهين الدالة على وجود الله، ويصوغها بأسلوبه الواضح الأخاذ، كما رأيناه أيضا، كيف كان تصديّه للشبهات المثارة والمتصلة بهذا الموضوع. لقد قام الرجل بوظيفته الرسالية حين انتدب نفسه لحراسة قضايا العقيدة والذب عنها. ولا يسعنا في خاتمة هذا البحث إلا أن نترحم عليه كفاء ما قدّم من جهود، ونظير ما قدّم من أعمال تشهد بغزارة إنتاجه العلمي وجهاده الفكري والدعوي. ومن خلال ما تقدم من بسط للحجج والبراهين، وما استعرضناه من أدلة وردود؛ فإنه يمكننا التعرف على منهج الشيخ محمد الغزالي في قضية إثبات وجود الله وأيضا في تفنيده للشبهات التي اعترضت هذا الموضوع، وفي هذا الصدد يمكننا الاطلاع على النتائج الآتية:

1- سعى الشيخ الغزالي –سواء في قضية وجود الله أو في غيرها من القضايا العقائدية–، أن يعود بالعقيدة الإسلامية إلى بساطتها الأولى، كما هي مقررة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد لاحظنا ذلك جيدا من خلال تعزيزه لاستدلالاته بالآيات القرآنية. فهو يرى أن طريقة القرآن أقوم في الخطاب، فهي لا تخاطب العقل لتقنعه فحسب، وإنما تخاطب القلب ليستشعرها ويتأثر بها أيضا.
2- الأدلة التي عُني الشيخ الغزالي بتقديمها في قضية وجود الله؛ سواء دليل الحدوث أو العناية أو الفطرة هي في الحقيقة ذاتها التي تقدم بها علماؤنا السابقين، ما من جديد في هذا، أما إطلاقه لبعض التسميات الجديدة عليها مثل: "دليل الحركة" مستفيدا من الكشوفات العلمية الحديثة، فهي –برأيي– إطلاق تسميات متعددة لمسمى واحد. وقصْدُ الغزالي من ذلك، لفت الانتباه كما ذكرنا.

[1] المرجع نفسه، ج1، ص22.

3- طرحه العقائدي عموما بما في ذلك ما يخصنا هنا من الاستدلالات العقلية على وجود الله وردوده على المنكرين، يتسم بالبساطة والوضوح وقوة الحجة والتأثير والاقناع، يحررها بأسلوبه الخاص ويعززها بإيراد أمثلة من الواقع يحسن-رحمه الله- اقتناصها.

4- لاحظت: أن الشيخ الغزالي يريد من خلال حديثه عن قضايا العقيدة الإسلامية، ومنها بالطبع قضية وجود الله، أن يجمع بين أمرين اثنين: تأسيس وتأصيل عقيدة واضحة لجمهور المثقفين في العالم الإسلامي معززة بالاستدلالات العقلية والنقلية من جهة؛ وفي الوقت ذاته تفنيده للشبهات التي تعترض تلك القضايا مما يحمي العقيدة وأبناءها ويحصّنهم من الغزو الفكري العقائدي.

5- لاحظت أيضا: أن الغزالي يواكب العصر بالإفادة من الكشوفات العلمية الحديثة، ويسخّرها في خدمة علم العقيدة وفي الاستدلال على وجود الله سبحانه، ويعمل على الاستعانة بالحجج العلمية التجريبية، لدعم استدلالاته وتفنيد حجج الملاحدة؛ ولكونه غير متخصص في هذا الجانب فلا يرى -رحمه الله- ما يمنع من الاقتباس عن علماء ومفكرين غربيين، وغير غربيين، ما داموا مؤمنين بوجود الله إجمالا والإفادة من تلك الاقتباسات وتوظيفها في الرد على الملحدين، بناء على أن الحق واحد لا يتعدد.

6- من ناحية الأسلوب، فالغزالي أديب بارع، والرجل متمكن من الأسلوب الأدبي الشائق والرائق وقد سخّر قلمه الأدبي في خدمة قضايا العقيدة كما رأيناه في قضية وجود الله هنا، ولعل هذا ما نحتاجه في الخطاب العقائدي المعاصر، فهو يجذب القراء، ويؤثر فيهم، كما يعمل على تيسير الفهم للقضايا، وتقريب المعاني إلى الأذهان بسلاسة وسهولة.

التوصيات:

1- تعزيز دليل الفطرة بما يؤيده من واقع التجارب البشرية في الحياة ومن الأبحاث العلمية السيكولوجية، لتبيان هيمنة الحاجة إلى الخالق، ومدى فاعلية حضورها في النفس البشرية.

2- الاعتماد على آخر ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق، بما يعزز من الأدلة على حدوث الكون؛ ويقدم الجديد الذي يقود إلى وجود الإله الخالق.

3- أيضا الاطلاع على آخر الإصدارات المتعلقة بشأن نظرية التطور التي يتوسل بها البعض على إلحاده كما هو الشأن في الإصدارات التي يشرف عليها مركز رواسخ، وبراهين، ودلائل، وتكوين، وغيرها.[1]

---

[1] ونشير إلى أهم المفاهيم العلمية التي يجب الارتكاز عليها لنقد هذه النظرية، أولا: الانفجار الكامبري. ثانيا: التصميم المعقد غير القابل للاختزال، للمزيد انظر: شك دارون: هل استطاع دارون تفسير كل شيء؟! في هذا الرابط: https://youtu.be/-YA9r1_bba4

4- قيام علماء الإسلام بدورهم الرسالي في بيان قضايا العقائد عموما، وقضية وجود الله على وجه الخصوص، والتدليل عليها والتصدي للشبه المتعلقة بها وتفنيدها. وقد سُئل أحدهم، أين تجد لذّتك؟ قال: في حجة تتبختر اتضاحا، وشبهة تتضاءل افتضاحا.

5- من المهم في مجال بيان عقائد الإسلام والرد على الإلحاد، بيان أن القرآن والكون توأمان لا ينفصلان. وأن أكثر العلماء الغربيين بدأوا يتجهون إلى الإيمان وليس إلى الإلحاد، وهذه مرحلة، وربما المرحلة القادمة قد تشهد انتقالتهم إلى الإسلام.[1]

6- إن الردود يجب أن تكون متسلّحة بسلاح الخصم الذي يدّعي العلم والمنطق والفلسفة، مما يكون له الأثر الأكبر في إقناع الملحدين أو من تأثر بهم.

7- إن على المجتمع الإسلامي بدعاته وعلمائه ومفكريه وحتى آحاده وأفراده أن يكونوا خير من يمثل الإسلام عقيدة وشريعة وقيما وعلما ومعرفة وحضارة، كي لا يكونوا فتنة في الدين لغيرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلّم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

1- ابن رشد، محمد بن أحمد. 1964، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2.

2- باريت، جستون. 2010، فطرية الإيمان كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله، ترجمة مركز دلائل، دار وقف دلائل للنشر، الرياض، ط1.

3- الجسر، نديم. 1969، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، دار العربية، بيروت، ط3.

4- الحفني، عبد المنعم. 2000، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3.

5- عبد الله، محمد رمضان. 1986، الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الأمة، بغداد.

6- لالاند، أندريه. 2001، موسوعة لالاند، تعريب، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2.

7- العقاد، عباس محمود. عقائد المفكرين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دون تاريخ.

[1] مثل أنتوني فلو، الذي قضى أكثر عمره في الإلحاد يؤصل له ويدافع عنه، ثم في آخر حياته ترك الإلحاد وانتقل للإيمان بالله، وقد ألف كتاب: هناك إله، بعد تأليفه لكتاب: ليس هناك إله.

8- الغزالي، محمد. ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق، بيروت، دون طبعة.

9- الغزالي، محمد. 2005، ظلام من الغرب، تحقيق محمد خالد القعيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4.

10- الغزالي، محمد. 2005، عقيدة المسلم. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4.

11- الغزالي، محمد. 2000، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم. دار الشروق، القاهرة، ط4.

12- الغزالي، محمد. (2005)، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3.

13- الغزالي، محمد. (2005)، من مقالات الشيخ الغزالي، جمع عبد الحميد حسنين حسن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط4.

14- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (1987)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، لبنان.

15- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2006م، الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، جامعة قطر، ط2.

16- لمقدم سهيلة، نجعي & ,وحيدة. (2020). ملامح الرؤية الكونية عند الشيخ محمد الغزالي.

17- النقيدان، عبد الحكيم. 2017، الفيزياء الحديثة وأدلة وجود الله، مجلة أوج، إصدار مركز دلائل، العدد 3.